



## الإهانة السياسية في الفكر الملكي الآشوري (745-627 ق م) : ظاهرة التقبيل انموذجًا

م.م. حسين شهيد كاظم

جامعة الكوفة-كلية الآداب (العراق- النجف)

hussienshaheed6@gmail.com

الملخص:

يُوصف التقبيل في عاداته على أنه صورة من صور الاحترام والتبجيل للآخر، سواء تمثّل ذلك في تقبيل الرأس أم اليد، وفي بلاد الرافدين تنوعت أشكال التقبيل وتوزعت على مظاهر مختلفة، فمنه من اتخذ صبغة سياسية تمثلت بتقبيل الملوك ورموز سلطتهم مثل الصولجان وغيره، ومنها ما حمل سمة دينية تُرجمت بتقبيل الآلهة ومتعلقاتها في المعابد، فضلًا عن التقبيل ذي الطابع الاجتماعي مثل تقبيل الأبوين وغيرهما، وقد عجت النصوص المسمارية والنقوش الفنية بأدلة كثيرة تؤكد وجود هذا النهج على طوال عصور بلاد الرافدين التاريخية المختلفة. إلا أنّ التقبيل في العصر الآشوري الحديث وخصوصًا في مرحلة الإمبراطورية الثانية (627-745 ق م) اتخذ أبعادًا أخرى، فلم يبق مجرد أسلوب يعكس الإحترام أو الولاء، بل صار يُجسد دلالة سياسية استخدمت بوصفها شكلًا من أشكال الإهانة السياسية للطرف الآخر، وقد زخرت النصوص الملكية الآشورية بكثير من الشواهد التي تؤكد لجوء ملوك بلاد آشور إلى تطبيق هذا النوع من التقبيل مع الخصوم والتمرديين ضدهم، سواء في داخل بلاد الرافدين أم خارجها مع الممالك والدول الخاضعة لهم، لذا جاء هذا البحث ليلسط الضوء على هذه الظاهرة وبيان تأثيرها السياسي والنفسي في المتضررين منها.

الكلمات الافتتاحية: الآشوريين؛ الإهانة؛ التقبيل؛ القدم؛ الولاء

### Political Humiliation in Assyrian Royal Thought (745-627 BC): The Phenomenon of Kissing as a Model

Hussien Shaheed Kadhim

hussienshaheed6@gmail.com

University of Kufa - College of Arts (Iraq – Najaf)

#### Absract;

Kissing is generally described as a form of respect and reverence, whether it involves kissing the head or the hand. In Mesopotamia, kissing took many forms and manifested in various ways. Some kisses had a political character, such as kissing kings and their symbols of power, like the scepter. Others carried a religious significance, such as kissing deities and their objects in temples. There were also social forms of kissing, such as kissing parents. Cuneiform texts and artistic inscriptions abound with evidence confirming the existence of this practice throughout the various historical periods of Mesopotamia. Kissing is generally considered a form of respect and reverence, whether it be kissing the head or the hand. However, kissing in the Neo-Assyrian period, particularly during the Second Empire (745-627 BCE), took on other dimensions. It was no longer merely a gesture of respect or loyalty, but became a political symbol used as a form of political humiliation. Assyrian royal texts abound with evidence confirming that Assyrian kings resorted to this type of kissing with their adversaries and rebels, both within Mesopotamia and with the kingdoms and states under their control. Therefore, this research aims to examine this



phenomenon and its political and psychological impact on those affected by it.  
**key words:** Assyrians, insult, kissing, foot, loyalty.

### المقدمة:

رافق العمليات العسكرية والحروب التي كانت تشنها الإمبراطورية الآشورية في الداخل والخارج من حدود بلاد الرافدين الكثير من الممارسات التي تجاوزت نطاق الفعل العسكري إلى استخدام وسائل رمزية ونفسية ابتغت من خلالها ترسيخ تفوقها السياسي، ومحاولة إخضاع الطرف الآخر، ومن أهم هذه الأساليب برزت ممارسة الإهانة السياسية كأداة ذات دلالات رمزية في الفكر السياسي الآشوري، إذ عبروا من خلالها على مظاهر قوتهم وهيبته في مقابل اضعاف الخصم نفسيًا، وقد مثل العصر الإمبراطوري الثاني النموذج الأوضح في تطبيق هذه الممارسة وتوظيفها في خطابهم السياسي سواء كان نصي أم صوري.

وقد اقتضت هذه الدراسة تقسيمها إلى تمهيد وثلاثة محاور رئيسة، تناول التمهيد الظروف السياسية التي رافقت التوسع الآشوري وآثارها في ظهور تطبيقات الإهانة السياسية، بينما خصص المحور الأول لبحث مفهوم الإهانة في المعاني اللغوية والاصطلاحية والمسمارية، في حين تناول المحور الثاني مسوغات الإهانة السياسية عند الملوك الآشوريين، أما المحور الثالث فقد درس هذه الظاهرة في النصوص الملكية الآشورية، من خلال عرض لنماذج مختارة لتقبيل الأقدام والأرض، وقد أختتمت الدراسة بأهم النتائج التي توصلت إليها.

اعتمد البحث على مجموعة من المصادر والدراسات، في مقدمتها كتاب David Daniel الجزء الثاني الخاص بالنصوص الملكية الآشورية، وكتاب Karen Rander الذي درس الإمبراطورية الآشورية الحديثة، فضلًا عن العديد من الدراسات الخاصة بالعصر الآشوري الإمبراطوري والتي تناولت فكرهم وخطابهم السياسي.

**إشكالية البحث:** تتمحور إشكالية البحث حول تفصي ظاهرة التقبيل التي دأب على ممارستها أغلب ملوك العصر الإمبراطوري الآشوري الثاني، إذ مثلت أداةً سياسية ونفسية عبّرت عن تفوق وسلطة الملك الآشوري، مقابل توجيه الإهانة ومحاولة الحط من مكانة الطرف السياسي الآخر.

**فرضية البحث:** تنطلق الدراسة من فرضية مفادها أن هذه الوسيلة لم تكن تصرفًا عابرًا غير مقصود، بل مثلت واحدة من الوسائل الرمزية العامة في الخطاب السياسي الآشوري، وقد استخدمت بقصد لتكون أداة تأكيد على تفوقهم السياسي والعسكري بينما عكست خضوع وولاء الأعداء لهم، ولعل استمرارية ذكرها في النصوص المختلفة ما يحيل إلى ذلك القصد.

**أهمية البحث:** تتجلى أهمية البحث في توجيه الضوء على واحد من الموضوعات الدقيقة في التأريخ السياسي الآشوري، إذ لا يقف موضوع التقبيل ذا الخاصية السياسية عند حدود الوصف السياسي فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى الكشف عن آثارها النفسية والرمزية لدى الخصوم والمناوئين للحكم الآشوري، وهذا النوع من الدراسات لم يحظَ باهتمام كافٍ من الباحثين.

**منهجية الدراسة:** استخدم الباحث في دراسته المنهج الوصفي في بيان الأدلة النصية المرتبطة بظاهرة التقبيل في الخطاب السياسي الآشوري، فضلًا عن المنهج التحليلي الذي اعتمده في تفسير السياقات التي وردت فيها لفظة التقبيل وبيان الغرض منها ونتائجها.

**الدراسات السابقة:** لم يعثر الباحث بحسب اطلاعه على دراسة علمية دقيقة ومستقلة تناولت موضوع التقبيل بوصف أداة للإهانة السياسية، وأبرز ما وجده دراسة (لأمير زماني) تتحدث عن التقبيل في الثقافتين الإيرانية والعراقية القديمتين، لكن ما يؤخذ عليها أنها لم تتطرق للنصوص بل اعتمدت على مشهد فني واحد يعود للملك شلمنصر الثالث (Shalmaneser III 858-824 B C) وهو خارج نطاق حدود



هذا البحث، وعليه ربما يمثل هذا البحث بداية لتوجيه الأنظار على هذا النوع من الدراسات التي تزخر بها النصوص الآشورية.

### التمهيد:

مع سياسة التوسع التي سار عليها ملوك العصر الآشوري الحديث وخصوصاً إبان حكم الإمبراطورية الثانية التي بدأت مع عام (745 ق م) وما نتج عنها من تكوين دولة كبيرة ضمت تحت سلطانها مناطق شاسعة من الشرق الأدنى القديم تحولت بموجبها بلاد آشور إلى إمبراطورية تحيط بها مجموعة من الممالك والقبائل التابعة لها (Radner, 2014, p103), وقد سعت هذه الممالك المختلفة تحت وطأة كثير من الظروف إلى ارضاء الآشوريين وعقد التحالفات والمعاهدات معهم, بعد أن باتت تشكل مصدرًا للخوف والترهيب لهذه الدول والقبائل (سليمان, 2014, ص222), ويُعزى تمكن الآشوريين من الوصول لهذه المرحلة إلى مجموعة عوامل مختلفة, أهمها ضعف الدول التي كانت تحكم في الشرق الأدنى مثل وادي النيل والحثيين في الأناضول والدويلات الآرامية في بلاد الشام وغيرهم (فرحان, 1976, ص70).

إلا أنه بالرغم من هذا التوسع العسكري وما نتج عنه من سيطرة وضمّ أراضٍ وشعوبٍ كثيرة للإمبراطورية الجديدة وتفاخر أحد الملوك الآشوريين بما حققه من إنجازات في هذه المرحلة بقوله " من وسط البحر يصرخ أعدائي ويقولون أين يهذب الثعلب ليهرب من الشمس " (Miller, 2021, p83), إلا أنهم لم ينفردوا بالقوة والزعامة وحدهم في الشرق الأدنى, بل ظهر من ينافسهم أو يقف بوجه تطلعاتهم (سليمان, ص222), سواء كان ذلك في بابل أم عيلام أم مملكة اورارتو (Urartu (ارمينيا الحالية) في شرق تركيا أم مصر أو غيرها من المناطق التي وصل إليها الجيش الآشوري (ساکز, 1999, ص ص127), إذ بدأت تندلع بين مدة وأخرى حركات تمرد وثورات ضد الحكم الآشوري, وليظمنوا بقاء السيطرة على هذه المناطق وإخماد ثوراتها لجأوا إلى استخدام عدد من الوسائل العقابية الموسومة بطابع الذل تجاه خصومهم (Radner, p103), لعل من أبرزها اهانتهم سياسياً ومحاولة الحط من شأنهم عبر طرائق متنوعة, مثل اجبارهم على تقبيل قدم الملك, أو تقبيل الأرض, ويتم ذلك بحضوره المباشر أو امام موظفين رسميين أو ضباط تابعين للبلاد الملكي الآشوري.

### أولاً: الإهانة في المعنى اللغوي والاصطلاحي والمسماري.

تأتي مفردة الإهانة في اللغة العربية من الهون, واستهان به وتهاون به بمعنى استخف به, واسمها من الهوان والمهانة, ويُقال رجل فيه مهانة اي به ذل وضعف (ابن منظور, دت, ص113), وهنا يرتبط معنى الإهانة بتصغير شأن الآخر وتحقيره والاستخفاف به.

وفي المعنى الاصطلاحي تُعرّف الإهانة بوصفها أي سلوك أو خطاب سواء كان شفهي أم مدون, يتم ادراكه ومعايشته من الطرف الآخر المذلول, ويكون القصد منه التقليل من مكانته وإهانته والإساءة اليه (Ofori, 2017, p130).

أما ما يخص موضوع البحث الإهانة السياسية وحدها دون غيرها من صور الإهانات الأخرى مثل الاجتماعية على سبيل المثال لا الحصر, فيمكن تعريفها على أنها الألفاظ والحركات والإشارات التي قد توجه من طرف إلى طرف ثانٍ في الخطابات والممارسات السياسية وتشعره بالسوء وتحط من مكانته (علي, 2025, ص3).

وفيما يتعلق بذكر الإهانة في اللغات الرافدينية القديمة فلم يغفل المعجم المسماري من الإشارة إليها, إذ وردت بعدد من الألفاظ التي تدل جميعها على معنى الإهانة وما ارتبط بها من مرادفات تشير إلى لها مثل الإذلال وعدم الاحترام, من أبرزها على سبيل المثال اللفظة Tapâlu التي تعني الاحتقار, وصيغة tuppulu التي تفيد معنى يُهين ويتصرف بإهانة, فضلاً عن المصطلح tiplu الذي يدل على معنى الإهانة صراحةً (الجبوري, 2008, ص ص673-677).

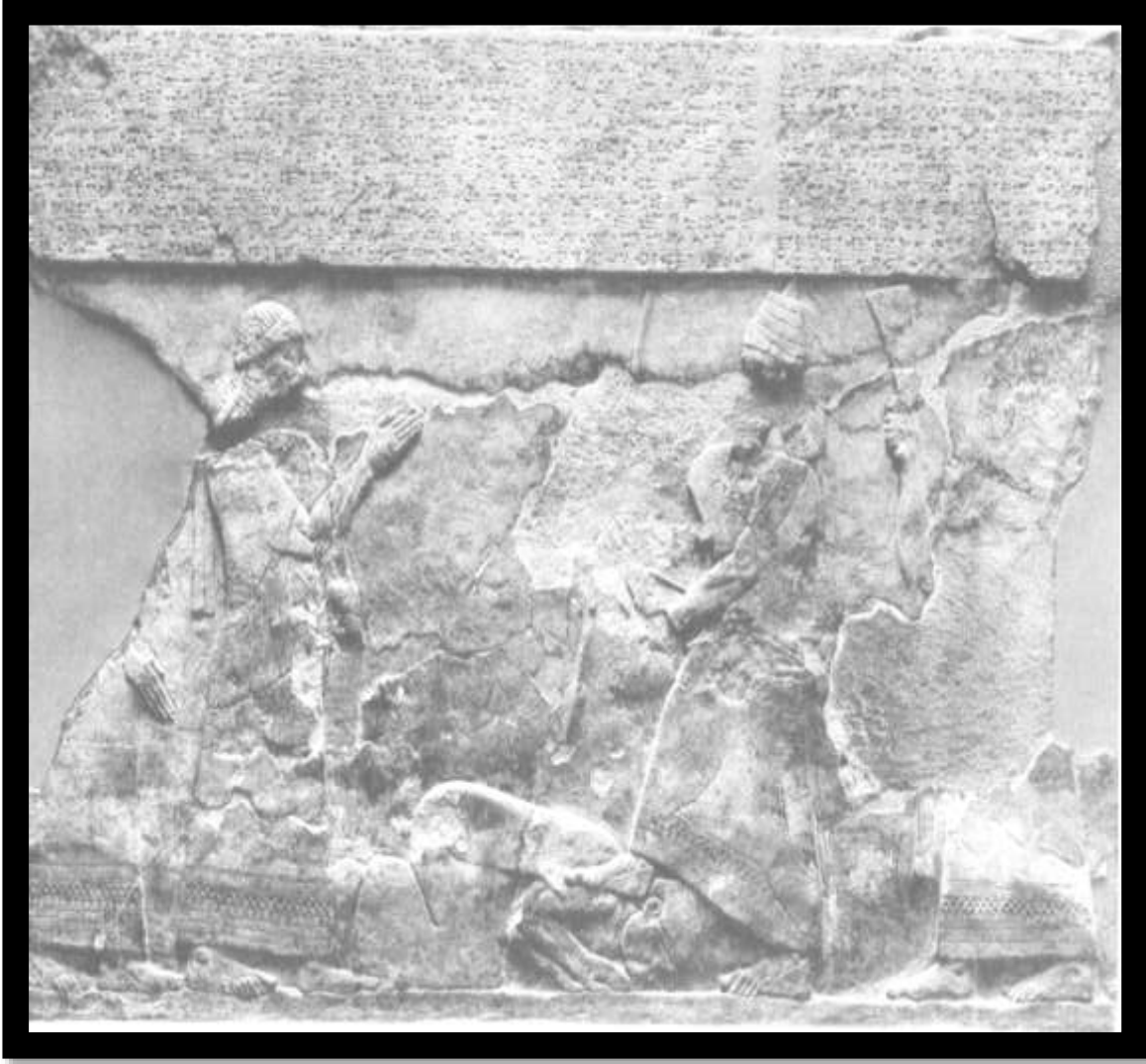


وإضافةً إلى ما ذكر في أعلاه فقد أشارت القواميس المسمارية إلى صيغ أخرى أعطت نفس المعنى، من بينها لفظة šillatu التي ترد هنا بمعنى الإهانة (CAD, p445) وكذلك الفعل wapāšu الذي يفيد معنى اهان (CAD, p402)، ويتضح من هذا التعدد في ذكر هذه اللفظة وتكرارها عن كثرة حضوره واستخدامه في اللغات المسمارية القديمة، فضلاً عن معرفة سكان بلاد الرافدين به، وتعبيرهم عنه بأكثر من صيغة وإن دلت كلها على معانٍ متقاربة.

### ثانياً: مسوغات الإهانة السياسية عند الملوك الآشوريين.

يمكن القول أن الملوك الآشوريين لم يغفلوا عن الأهمية السياسية والرمزية التي تنطوي عليها ممارسات هذا النوع من الإهانة، لذا عملوا على استخدامه على نطاق واسع والإفادة منه في تعزيز تفوقهم السياسي، بل وجعلوه جزءاً من خطابهم السياسي. وقد استهدفوا بذلك تعزيز هيبة وسلطان ملوكهم بالدرجة الأولى وتجسيد مبدأ الخضوع والتبعية التامة لهم بأي صورة من الصور (الأعرجي، 2005، ص ص 66). ومن هنا يمكن إيجاز عدد من مسببات لجوئهم إلى تطبيق هذه السياسة أهمها.

**1- البعد الاعلامي:** إن قوة الإهانة العلنية تتجاوز كثيراً كونها مجرد سلوك فردي، إذ إنَّ هذا النوع من الإهانات تكون فعالة في ايدي السلطة الحاكمة وتأتي بنتائجها بعد أن تخلق انطباع أو شعور بالخوف والترهيب عند الناس (Ruth, 2018, p4)، وقد مارسها الإنسان منذ بدايات التاريخ بمجرد أن أدركوا قدرتهم على إيذاء الآخر (Mateo, 2000, p2)، ويبدو أن الآشوريون تنبهوا لقوة هذا السلوك وآثره الاعلامي فعملوا على تصويره في مشاهدهم الفنية المختلفة، ليكون وسيلة إشعار للضيوف القادمين إلى قصر الملك في بلاد آشور، وأبرز مثال على ذلك اللوحة التي تعود إلى حكم الملك تجلاتبليز الثالث (Tiglath Pleser III 745-727 B C)، إذ تصور مشهد رجل في هيئة سجد، كأنما يقبل الأرض، في حين يضع الملك الآشوري قدمه على رأس الرجل، ويلاحظ في المشهد وجود موظفين للقصر أو ضباط آشوريين.



(Smith, 1938, plate 8.)

إن هذه الأعمال الفنية سواء منحوتات جدارية أم مسلات قد صورت عليها مثل هذه المشاهد لما لها من أثر كبير في نقل الخطاب أو الفكر السياسي الآشوري، فهي تمثل رسائل موجهة لإبلاغ الطرف بقوة وعظمة الملك الآشوري، فضلاً عن تأثيرها المباشر على الوفود سواء كانت صديقة أم عدوة، ولا سيما العدو حيث له النصيب الأكبر من هذا الخطاب المُصور الدال على عنف وقوة الآشوريين (الأعرجي، 2005، ص66).

2- **البعد السياسي:** يتم في ظروف عديدة توظيف الإهانة في هذا الميدان، وذلك لتحقيق مصالح سياسية واقتصادية، إذ يهدف هذا الجانب إلى اظهار الخصم بصورة طرف ضعيف غير قادر على حماية نفسه، ومن ثم اخذ التنازلات منه وتعديل سياساته لتتلاءم مع أهداف الطرف القوي المُدَل، هنا تصبح الإهانة شكل من اشكال القوة أو السلطة (علي، 2025، ص3)، ويبدو أنّ الحكام الآشوريين قد استفادوا من هذا السلاح في تحقيق رغباتهم السياسية، ففي نص للملك سرجون الثاني (Sargon II 722-705 B C) ما يوجي إلى ذلك، إذ يقول في نصه الآتي " سمع هؤلاء الملوك من بعيد في وسط البحر بأعمالي التي كنت أقوم بها في كلدنيا وأرض الحثيين Hittites انفطرت قلوبهم وسيطر عليهم الخوف، فحضروا الي مع الذهب والفضة والاثاث من خشب القيقب وخشب البقس التي صنعوها في بلادهم الي بابل وقبلوا قدمي" (Hayes, 1987, p288).



3: البعد التذليلي: بعض المدونات الملكية الآشورية اظهرت أن تقبيل القدم لم يكن مقتصرًا على كونه مظهر من مظاهر الإهانة السياسية فحسب، بل اتخذ في بعض الحالات بُعدًا تذليليًا (استرضائيًا) ارتبط بطلب العفو واستمالة الملك الآشوري، وهذا ما يتجلى بوضوح في أحد نصوص الملك الآشوري أسرحدون (Esarhadon 680-669 B C)، إذ جاء فيه الآتي " جاء حزائيل ملك العرب إلى نينوى مدينتي الملكية مع هداياه الثمينة والثقيلة وقبل قدمي متوسلاً إلي أن أعيد آلهته فرحمته واصلحت ما تم تخريبه من تماثيل تلك الالهة ونقوشها" (Luckenbil, 1927, p22).

يصور هذا النص أن تقبيل قدم الملك لم يكن هنا مجرد طقس شكلي للخضوع، بل مثّل وسيلة رمزت للتذلل والاستعطاف، وبالتالي صار أداة تعبير عن الانكسار والخضوع لسلطة الملك ومحاولة استجلاب عطفه، إذ عرّض حزائيل نفسه للإهانة حتى يحصل على مقدساته ويرجعها معه إلى بلاده.

ثالثاً: التقبيل في النصوص الملكية الآشورية. (نماذج مختارة):

حظي التقبيل بصبغته السياسية بمكانة واضحة في الخطاب السياسي الملكي الآشوري، إذ حرص الملوك الآشوريين على تسجيله في مدوناتهم الرسمية، كونها احدى علامات تأكيد تفوقهم مقابل ولاء وخضوع الآخرين لحكمهم، إذ برع الآشوريين في استخدام التقبيل في خطابهم السياسي. الذي لم يخل من سياسة التلويح بالعصا والجزرة، فضلاً عن دوره في اإيصال مفاهيمهم السياسية التي ارادوها، فجاءت معبرة عن نمط تفكيرهم ونظرتهم للملكية والعلاقات السياسية وغيرها (الأعرجي، 2005، ص75).

تكشف الشواهد الواردة في النصوص الملكية أن التقبيل لم يرد بصيغة واحدة بل تنوعت صورته، إذ يظهر اشكالاً عدة تمثلت في تقبيل القدم أو تقبيل الأرض، وهو ما سنتناوله هذه النقطة.

ففيما يخص تقبيل القدم، يذكر الملك تجلاتبليزر الثالث في نصوصه ممارسة هذه الظاهرة اكثر من مرة ومع جهات مختلفة، ففي نص له يقول فيه " قبيلة ..... من كلديا غضب الآله آشور قد سيطر عليهم فجاءوا إليّ وقبلوا قدمي" (Luckenbil, p269)، وفي نص ثانٍ له ذكر فيه " مردوخ بلادان Merodach-baladan ملك أرض البحر الذي لم يسبق له أن أسلم لأي من ابائي الملوك ولم يقبل أقدامهم، سيطر عليه رعب عظمة الآله آشور، سيدي فجاء إلى مدينة سابيا Sapia فحضر امامي وقبل قدمي وتلقيت منه جزية من الذهب" (Harper, 1901, p55). ويتضح من محاولة استقراء النص أن مردوخ بلادان لم يكن في سيبيا عاصمة قبيلته، ولم يقبل اقدام الملوك الذين حكموا قبل الملك تجلات بليزر الثالث، ولكنه بعد أن سمع بدخول الجيش الآشوري رجع إلى مدينته جالبًا معه مجموعة من الهدايا وقام بتقبيل قدم الملك الآشوري، وفي نص ثالث يقول الملك فيه "أذهلته عظمة سيدي الآله آشور المهيبه فجاء إلى دور توكلتي Dur Tukulti أبال إشارا apal-esharra وحضر أمامي وقبل قدمي" (Luckenbil, 1927, p268). ويكشف هذا النص قيام الملك تجلات بليزر الثالث بحملة عسكرية ضد منطقة (أبال إشارا) التي تقع ضمن حدود دولة مانيا Mannea (Radner, 2020, p90) في شمال غرب إيران من جهة الحدود مع بلاد آشور (Heidari, 2010, p147)، إذ عمل الملك على تغيير اسم المنطقة (أبال إشارا) إلى (دور توكلتي) (Radner, p90)، وقد دفعت هذه الحملة وما رافقها من اجراء اداري بحاكم المدينة إلى الرجوع إلى منطقته وتقبيل قدم الملك الآشوري اعترافاً منه بتبعيته السياسية وولائه لآشور.

وفي نصٍ رابع لتجلات بليزر الثالث قال فيه " ..... دمرت وخربت واحرقت بالنار ..... إن الخوف المروع للآله آشور سيدي قد سيطر على زعماء الكلدانيين ..... و ..... فجاءوا إليّ وقبلوا قدمي" (Tadmor, 2011, p65)، يستشف من هذا النص أن الخوف الذي اشاعه الملك دفع زعماء الكلدانيين إلى اظهار الولاء السياسي الذي تمثل في تقبيل قدم الملك وبذلك فإنه اعترف بالهزيمة والاستسلام التام.

أما نصوص الملك سرجون الثاني فلم تخلُ من هذا النوع من الممارسة السياسية، إذ يذكر في أحد حولياته الملكية أنه " أحضر خمسة من شيوخ قبيلة ..... خيول 98 وثيران واغانام وماعز كهدية



استقبال كبيرة لمدينة دور أبي هارا **Dur Abi hara** وقبلوا قديمي" (Frame, 2020, p271), يؤكد هذا النص أن ظاهرة التقييل وخصوصًا تقبيل القدم كانت ممارسة شائعة في عهد سرجون الثاني, إذ مورست في الحملة العسكرية التي وصلت إلى مدينة دور أبي هارا التي تُعرف اليوم باسم شيخ يعقوب اليوسف جنوب مدينة بابل على جهة بلاد عيلام (Mikko, 2018, p136), ومن النصوص الأخرى التي أشارت إلى هذا الأسلوب ما جاء في هذا النص " ... خفقت قلوبهم وسيطر عليهم الخوف أحضروا الي في بابل الذهب والفضة واواني من خشب الابنوس وخشب البقس من منتجات اراضيهم وقبلوا قديمي" (Frame, p151), مما يعزز ما تم ذكره في النصوص السابقة من أن مظاهر الخوف والرعب المتنوعة كانت العامل الرئيس الذي دفع كثير من القبائل والحكام إلى إظهار طاعتها بأشكال مختلفة ومنها تقبيل القدم, وبذلك ظهر الخصوم في حالة انكسار نفسي وسياسي مقابل سلطة وهيمنة الملك الآشوري.

وفيما يتعلّق بمدونات الملك سنحاريب (Sennacherib 705-681 B C) فإنها لم تخلوا من الإشارة إلى تطبيق لهذه الممارسة أيضًا, ففي أحد نصوصه ذكر الآتي " ملوك أمورو **Amurru** جميعهم قدموا لي هدايا ثمينة كجزية كثيرة للمرة الرابعة, وقبلوا قديمي" (Luckenbil, 1927, p119), وفي نص آخر يتعلّق بملك مدينة صيدا في بلاد الشام يورد الآتي " فر لولي **Lulli** ملك صيدا بعيداً عبر البحر ومات, انحنى سكان مدن لولي الحصينة خاضعين لي, وقاموا مع ذلك جميع ملوك امورو بتقديم جزيتهم وقبلوا قديمي" (Prinsloo, 2000, p385), وهذا يعزز أن تقبيل القدم ممارسة راسخة في الخطاب السياسي الآشوري خلال حكم سنحاريب كما في عهود الملك الذين سبقوه, ولم تكن ممارسة فردية بل اتخذت طابع جماعي, إذ لم تسلم منه شعوب وملوك كثيرة ومنها بلاد الأموريين, ولعل النص الآتي يدعم تفاخره بذلك إذ يقول فيه " لقد جعلت شعوب الجهات الأربعة تقبل قديمي وقد ندموا على خطاياهم وفي ذلك اليوم ..... في مدينة نينوى" (Smith, 1878, p162).

أما مدونات الملك اسرحدون فقد بينت استمرار ظاهرة التقييل كإجراء سياسي ثابت في فكرهم, إذ جاء في أحد نصوصه " وضعت أرض البحر كلها مملكة اخيه تحت سيطرته وكان يأتي سنويًا إلى نينوى دون انقطاع وحاملاً هداياه الثمينة ويقبل اقدمي" (Luckenbil, p205), وفي نص آخر يورد فيه "أشور سيدي غلبهم, جلبوا خيولاً قوية وفضل ما في ارضهم من لازورد إلى نينوى مدينتي الملكية وقبلوا قديمي" (Luckenbil, p215), وفي نص ثالث ذكر فيه " اولئك الحكام الذين لم يكونوا في زمن الملوك ابائي قد جاءوا الى بلاد اشور ولا وطنت اقدمهم ارضها, غمرهم الخوف والرهبه من الإله آشور سيدي, فجلبوا خيول حربية وحجرًا ثمينًا من بلادهم الى نينوى عاصمتي وقبلوا قديمي" (Budeg, 1880, p71).

إن هذه النصوص مجتمعة توضح أن تقبيل القدم في عهد أسرحدون لم يكن حالة استثنائية, بل ممارسة متكررة بوصفها طابعًا متجذرًا في الفكر السياسي الآشوري, إذ يبدو أنه صار طقس سياسي دوري مع حكم كل ملك آشوري كما ابانت ذلك نصوصهم الملكية.

أما نصوص الملك آشور بانيبال (Ashur Banipal 668-631 B C) فإنها لم تغفل من الإشارة إلى تكرار ظاهرة التقييل التي لم يسلم منها العديد من الحكام والقبائل المعاصرين لحكمه, إذ تعجّ نصوصه بكثير من الأمثلة على ذلك, ومنها النص الآتي " اخضعت سكان تلك الأراضي لسلطتي وفرضت عليهم الضرائب والجزية كل عام بأم من الآلهة سن **Sin** وننكال **Nikkal** وشمس **Samas** وايا **Aia** وقبل الملوك الجالسون على عروشهم قديمي وتطلع إليّ الحكام العظام من الشرق إلى الغرب فطلبوا حمايتهم" (Novotny, and Jeffers, 2018, p81), وفي نص آخر يقول فيه " ابناء ياكينلو **Iaknlu** الذين يعيشون على جزيرة وسط البحر, جاءوا من البحر إليّ بهداياهم الثمينة والكثيرة وقبلوا قديمي" (Oppenheim, 1969, p296), وفي نص ثالث يقول فيه " لقد تملكهم الخوف من هيبتني فأرسلوا إليّ رُسُلهم حاملين معهم رسائل الطيبة والسلام والهديا الكثيرة والثمينة, وسألوا عن سلامتي وجلالتي وقبلوا قديمي وتضرعوا إلى سيادتي" (Novotny, and Jeffers, p230).



وفي سياق مرتبط بمصر أيضًا يذكر آشور بانبيال الآتي " وأما الملوك والحكام والموظفون الذين نصبتهم سابقًا في مصر فقد جاؤوا للقائي وقبلوا قديمي " (Novotny, and Jeffers, p239).

تُظهر هذه النصوص مجتمعة أن تقبيل القدم في عهد آشور بانبيال لم يكن فعلاً محدود التطبيق، بل أصبح جزءاً من خطابه السياسي الموجه لمختلف مناطق الشرق الأدنى ومنها مصر، في سبيل احكام السيطرة على إمبراطوريته وترسيخ هيمنته السياسية واذعان الآخرين لحكمه، كما أن هذه النصوص الواردة تُفيد في استنساخ الحكام لسياسيات اباءهم الذين سبقوهم في الحكم

وفيما يتعلق بالجانب الثاني من التقبيل، فتُعد مسألة تقبيل الأرض أحد اشكال التقبيل الرمزية المُعبّرة عن الخضوع السياسي في النصوص الملكية الآشورية، سواء كان ذلك التقبيل أمام الملك مباشرة أم امام رسله وقادته في المناطق البعيدة مما يعكس خشيتهم الملكية ليس بوجود الملك شخصياً فقط بل امتدّ ليشمل ممثليه الرسميين.

ففي نصّ للملك سرجون الثاني يرد فيه وصف واضح لهذه الممارسة، إذ يشير إلى أحد خصومه بقوله " .. فخاف خوفاً شديداً ونحى صولجانه وعرشه وقبل الأرض امام رسولي " (Frame, 2020, p130) وهو تصوير يعكس قوة مثوله للملك الآشوري ونواب سلطته، وفي نصّ آخر يخص فيه خصمه الكلداني في بابل مردوخ ابلا ادينا الثاني Marduk-apla-iddina II الذي قاد تمرداً اكثر من مرة ضد الآشوريين، مما دفع سرجون الثاني إلى قيادة حملات عسكرية ضده (Karlsson, 2021, p21)، وقام بتكرار مشهد تقبيله للأرض إذ يورد " أما هو مردوخ ابلا ادينا الثاني فقد سيطر عليه الخوف وارتعب وتخلّى عن صولجانه وعرشه وقبل الأرض امام رسولي وعندما امرته ان يهدم الاسوار العظيمة لمدينته " Frame, (2020, p131).

إن ذكر تقبيل الأرض لم تقتصر على نصوص سرجون الثاني بل انسحبت لنصوص الملك آشور بانبيال أيضاً، ففي اطار علاقاته مع بلاد عيلام يرد ذكر لهذا النوع من التقبيل، إذ يرد في رسالة بعثها احد الجنود المشاركين في الحملة العسكرية الآشورية ضد عيلام ذكر لتقبيل الأرض، إذ أنّ الملك العيلامي اومانينغاش Ummanigaš الذي تولى الحكم بعد اخيه تاماريتو Tammaritu (Bartelmus, 2025, p267) قد عاتب اخاه المعزول بسبب خضوعه وتقبيله الأرض امام الجنود الآشوريين، وهذه اشارة واضحة على خضوعه السياسي إذ يقول في النص الآتي " اومينغاش لم يفعل سوى تقبيل الارض امام رسل ملك آشور " (Argozin, 1898, p394).

إن هذه المشاهد ليست مجرد سلوك سياسي عابّر بل ممارسة مقصودة تصوّر فقدان الخصم لسيادته واستخدمت في الخطاب الملكي المصور بوصفها اداة دعائية لتكريس الهيمنة الامبراطورية.

**النتائج: توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج يمكن ايجازها بالآتي.**

١. ان الاهانة السياسية لم تكن وليدة الفكر السياسي الحديث، بل عرفه ومارسه الفكر السياسي الآشوري، بدلالة النصوص التي وردت في البحث
٢. لم تكن الاهانة تعبير عن ظرف طارئ أو ممارسة فردية مرتبطة بحاكم معين، بل مثلت تصرفاً اصيلاً في الفكر السياسي الآشوري، إذ مارسها الملوك الآشوريين بوصفها اداة للحكم وادارة العلاقات، بل شكّلت ثقافة عامة عند حكام العصر الآشوري الحديث ولاسيما في مرحلتها الثانية.
٣. عمل الآشوريين على الربط بين التدوين النصي للحدث وتمثيله تصويرياً على النقوش والجداريات، لما لذلك من أثر قوي في اشاعة الخوف والحذر لدى رعايا الدولة الآشورية أو الوفود الأجنبية التي كانت تحضر إلى البلاط الآشوري.
٤. لم يقتصر تطبيق هذه السياسية على افراد معينين أو مجموعات محددة، كما لم ينحصر تطبيقها داخل بلاد الرافدين بل توسع ليشمل الممالك والقبايل الخاضعة للحكم الآشوري في الشرق الأدنى القديم.



٥. اظهرت النصوص أنّ الملوك الآشوريين قد استفادوا من هذه الظاهرة في تحقيق اهدافهم السياسية وترسيخ سلطتهم  
٦. يكشف الفكر السياسي الآشوري عن ادراك واضح لأهمية هذه الممارسات في اضعاف الخصوم.

#### المصادر والمراجع العربية والمترجمة:

ابن منظور. (د-ت). لسان العرب.

الأعرجي, حسين سيد نور جلال, (2005) الخطاب السياسي في العراق القديم 3000-539 ق م, رسالة ماجستير غير منشورة, جامعة واسط.

الجبوري, علي ياسين. (2008). قاموس العلامات الاكديّة, هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث.

ساكز, هاري. قوة آشور. (1999). ترجمة عامر سليمان, منشورات المجمع العلمي, بغداد.

سليمان, عامر. (2014). العراق في التاريخ القديم موجز التاريخ السياسي, المؤسسة اللبنانية للكتاب الاكاديمي, بيروت.

علي, محمد حنفي. (2025). ارتباطات الإهانة والقوة في سياسات الدول والمجتمعات, مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية.

فرحان, وليد محمد صالح. (1976). العلاقات السياسية للدولة الاشورية, رسالة ماجستير, جامعة بغداد.

#### المصادر الإنكليزية:

Argozin, Zenaid A. (1898). *Assyria from the rise of the empir to the fall of Nineveh*, New york.

Bartelmus, Alex. (2025). *late neo Elamite kingdoms the rise of cyrus the great the fall of Babylon amd the end of the Babylonian captivity*.

Budeg, Ernest A. (1880). *history of Esarhadon, king of Assyria 861-668 B C*, London.

Frame, Grant. (2020). *The royal inscriptions of Sargon II king of Assyria (721–705 BC)*, vol.2, Pennsylvania.

Harper, Robert, Francis. (1901). *Assyrian amd Babylonian literature*, New york.

Hayes, John H, (1987). *Irvine, Stuart A, Ishiah the eihith century prophet his times and his prbaciing*, Tennessee.

Heidari, Reza, (2010). *hidden aspects of the Mannean rule in north wesren in Iran*, Aramzd, Armenian Journal of near eastren studies, vol.5.

Karlsson, Mattias. (2021). *hero and villain, portrayals of Marduk apla iddina II*, orientalia, vol. 90.



- Luckenbil, Daniel, David. (1927). *ancient records of Assyria and Babylonia*, vol.2, Chicago.
- Mateo, Jose, Yus, Francisco. (2000). *insults A relevance theoretic taxonomical approach to their translation*, International Journal of Translation 12(1).
- Mikko, Luukko, (2018). *observations on new Assyrian practices of naming places, del institut orientaliste de Louvain*, vol71.
- Miller, Eva. (2021). *drawing distinctions Assyrians and others in the art of the new Assyrians empire*, Finnish oriently society, vol9.
- Novotny, Jamie. (2006). *Assur Banipal inscriptions the oriental institute, state archives of assyria*, vol 15.
- Novotny, Jamie, Jeffers, Joshua. (2018). *the royal inscription of the new assyrian period*, vol .5, Indiana.
- Ofori, Emmanuel Amo. (2017). *the use of insults to challenfe political authority: A critical discourse analysis, language , discourse and society*, vol.5, n0, 1.
- Oppenheim, A, Leo. (1969). *Babylonian and Assyrian historical, ancient near eastern texts relaring to the old testament*, New Jersey.
- Prinsloo, G, T. (2000). *Sennacherib, Lachish and Jerusalem honour and shame, old testament*, 13/3.
- Radner, Karen. (2020). et al, *New Assyrian royal monuments from lake Zeribar in western Iran*, Zeitschrift fur Assyriologie. 110,no 1.
- Radner, Karen, (2014). *the neo Assyrian empire*, Wiesbaden.
- Ruth, Colker. (2020). *the power of insults*, Boston univesty Law review 100/1.
- Smith, George. (1878). *history of Sennacherib*, London.
- Smith, Sidney. (1938). *Assyrian sculotures in the British musem from Shalmanser III to Sennacherib*, London.
- Tadmor, Hayim, Yamada, Sthigeo. (2011). *the Rooyal inscrption of Tiglath Pileser III (744-727 B C), and Shalmaneser V (726-722 B C)*, Indiana. vol1.